[491] أما واﷲ لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافا وفرقة، إنها من مشورة ابن النابغة - يعنى عمرو بن العاص - قال: ثم قال ليزيد: [ويحك] ألا ترى إلى ما يلقون، ألا ترى إلى الذى يصنع اﷲ لنا، أيتبغى أن ندع هذا وننصرف عنه ؟ ! فقال له يزيد: أتحب أنك ظفرت هاهنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يفرج عنه ويسلم إلى عدوه ؟ ! قال: سبحان اﷲ، [لا] واﷲ ما أحب ذلك. قال: فإنهم قالوا: لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك [بأسيافنا] كما قتلنا عثمان، أو لنسلمنك إلى عدوك. قال: فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح فقال: يا أهل الذل والوهن، أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم قاهرون ورفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ؟ ! وقد واﷲ تركوا ما أمر اﷲ به فيها وسنة من أنزلت عليه، فلا تجيبوهم. أمهلوني فواقا (1)، فإنى قد أحسست بالفتح. قالوا: لا. قال: فأمهلوني عدوة الفرس (2)، فإنى قد طمعت في النصر. قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك. قال: فحدثوني عنكم - وقد قتل أماثلكم وبقى أراذلكم - متى كنتم محقين، أحين كنتم تقتلون أهل الشام (3)، فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلون أم [أنتم] الآن [في إمساككم عن القتال] محقون ؟ فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وكانوا خيرا منكم، في النار. قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم في اﷲ وندع قتالهم في اﷲ. إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا. قال: خدعتم واﷲ فانخدعتم، ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود، كنا نظن أن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوق إلى لقاء اﷲ، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت. ألا فقبحا يا أشباه النيب الجلالة، ما أنتم برائين بعدها عزا أبدا، فابعدوا

_____ (1) الفواق، بالضم وبالفتح: ما بين الحلبتين. يقال: أنظرني فواق ناقة. (2) في الأصل: " عدو الفرس " وأثبت ما في ح. (3) في الأصل: " حيث كنتم " صوابه في ح (1: 186). (*)

_____